**4- النحو المقارن:**

**تبرز في الدراسة اللغوية ثلاثة مناهج أساسية للقيام بأنواع أساسية ثلاثة من الدراسة هي: المنهج الوصفي، والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن للدراسة الوصفية، والدراسة التاريخية، والدراسة المقارنة.**

**والدراسة الوصفية هي أساس الدراستين التاريخية والمقارنة "انظر ما يلي". وسنتخذ الكلام على "النحو المقارن" سبيلا للتعريف بهذه الدراسات الثلاث.**

**أ- الدراسة اللغوية الوصفية:**

**إن ما يسمى "الدراسة اللغوية الوصفية"1 يختص بفترة محدودة من تاريخ لغة من اللغات مستعملة في مكان محدود. فنحن مثلا لا نستطيع أن ندرس اللغة العربية في تاريخها الطويل دفعة واحدة؛ لأنها لم تكن في تاريخها الطويل "شيئا واحدا" ثابتا ينتقل من جيل إلى جيل دون تغير بأي صورة من صور التغير، وفي أي جانب من جوانب اللغة.**

**لقد درجنا على أن ندرس الأدب العربي دراسة عملية، فتقسيمنا لتاريخ الأدب العربي الطويل إلى مراحل زمنية، وبيئات مكانية بديهية من البديهيات.**

**ولكن كثيرا من دارسي اللغة عندنا لا يميزون بين "الدراسة الوصفية" للغة، و"الدراسة اللغوية التاريخية"2.**

**ولكن "الدراسة اللغوية التاريخية" لا يتأتى قيامها على وجهها العلمي الصحيح دون الدراسة الوصفية للمراحل المختلفة التي مر بها تاريخ اللغة موضوع الدرس.**

**إن النظر في تاريخ اللغة العربية مثلا يظهرنا على معالم أساسية تتخذ شبه "فواصل" بين مرحلة سابقة ومرحلة لاحقة: نعم إن الاستعمال اللغوي غير متوقف أبدا، إنه متغير على الدوام، متغير في الفرد الواحد في مراحل عمره، ومتغير في**

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1 Descriptive Linguistics.

2 Historical Linguistics.

**البيئة الكلامية الواحدة حسب المهنة والحرفة، وحسب الأعمار، وحسب المستوى الاجتماعي ... إلخ، وإنه لمتغير حسب القرى والبلدان التي تضمنها البيئة الكلامية، بل حسب الأحياء في البلدة الواحدة، ولكن الباحث اللغوي يضطر إلى أن يتغاضى عن أمثال هذه التغيرات إذا أراد أن يدرس اللغة دراسة تاريخية، وذلك كما يتغاضى مؤرخ الأدب عن الخلافات والفروق في العصر الواحد في سبيل تحديد عصور أدبية تيسر له تأريخ الأدب.**

**ولكن ليس معنى هذا التغاضي أن الخلافات والفروق داخل العصر الواحد لا تسجل: إنها لتسجل وتقوم بطبيعة الحال، أو يسجل ويقوم أهمها، ولكنها توضع في موضعها الحق، ولا تعوق تقسيم تاريخ اللغة، أو تاريخ الأدب، إلى عصور محددة الأوائل والخواتيم.**

**وليس معنى "انتهاء" عصر لغوي "ابتداء" عصر لغوي تال، أن التغير اللغوي الكبير الذي نتخذه فاصلا بين عصرين يحدث فجأة. وأن الناس يغيرون من لغتهم تغيرا كبيرا في عام أو عامين، فالتغير، كما قلنا، دائم مستمر، ولكن اللغوي، يجد أن بعض مظاهر هذا التغير قد ازدادت وتجمعت في فترة من الفترات لعوامل معقدة سياسية وتاريخية إلخ. بحيث يدعوه المنهج العلمي إلى وضع حد تاريخي عند هذه الفترة. ولكن من المسلم أن "التداخل"، أو "الخصومة" متوافر. أو متوافرة، في معظم الحالات.**

**ب- الدراسة اللغوية التاريخية:**

**قلنا أن "الدراسة اللغوية التاريخية" لا تقوم إلا بعد الفراغ من دراسة المراحل المختلفة التي مر بها تاريخ اللغة دراسة وصفية، ومن النظر في هذه الدراسات الوصفية للمراحل التعاقبية يأتي تدوين تاريخ هذه اللغة صوتيا، وفونولوجيا، ونحويا، وقاموسيا، ودلاليا إلخ.**

**قال بلومفيلد اللغوي الأمريكي الكبير موضحا هذه الحقيقة: إن ظهور التيار التاريخي المقارن، والتيار الفلسفي الوصفي في الدراسة اللغوية في أواخر القرن التاسع عشر يدل على أن الدراسة التاريخية للغة تتوقف درجتها دقة وإتقانا على دقة الدراسة الوصفية للغة موضوع الدرس وعلى إتقانها. وإن كل تقدم منهجي ليؤيد هذه النتيجة: ومن أمثلة ذلك أن اللغويين الوصفيين أخذوا منذ حوالي 1930 يركزون جهودهم على دراسة "الفونيمات المقطعية "= الجزئية" العليا"1 كدرجة الجهر، والارتكاز، وما إلى ذلك. ولم يكن ذلك قد وصف من قبل وصفا علميا مفصلا بالغ الدقة. ولقد نتج عن العناية بهذه الموضوعات أن أدرك كثير من اللغويين أن كثيرا من جوانب الدراسة التاريخية للغة الإنجليزية ينبغي إعادة دراسته في ضوء هذا التقدم المنهجي الحديث، وفي ضوء نظرية "الفونيم" الحديثة2!**

**إن لغتنا لما تدرس من الناحية التاريخية، وتاريخها طويل متشعب، ولا بد لدراستها تاريخيا، من دراسة عصورها المختلفة دراسة وصفية.**

**إن العربية الفصحى في عصرنا متميزة عن عربية العصر الجاهلي مثلا، وكلتاهما متميزة من عربية العصر العباسي وهكذا. كل عصر من هذه العصور وسواها، باعتباره حلقة في سلسلة التطور التاريخي للغة العربية، يمثل كما يقول دي سوسير "حالة لغوية"3 "= حالة من حالات اللغة".**

**فالدراسة اللغوية التاريخية تمكننا من التغلب على حواجز الزمن من وجوه، فهذه الدراسة هي اقتفاء أثر التطورات والتغيرات من النواحي الفونولوجية، والنحوية، والقاموسية، والدلالية إلخ في لغة واحدة خلال التاريخ، أي أنها دراسة تطور لغة من اللغات باعتباره تطورا بين "حالات لغوية" متتابعة، ومن المسلم به أن هذه الحالات اللغوية قد درست قبلا دراسة وصفية، والدراسة التاريخية تدرسها من الناحية الحركية التطورية4.**

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1 Supra - Segmental Phonemes.

إن النغمة tone في اللغات التي تستعمل التنغيم استعمالا وظيفيا للتفريق بين المعاني تعتبر "فونيما مقطعيا" "= جزئيا "أعلى"، واللغويون يعتبرون "الطول" Length كذلك "فونيما مقطعيا جزئيا" أعلى والطول هو الذي يميز بين الإنجليزية lip "شفة" من leap "= يقفز" والفونيم المقطعي "الجزئي" "الأعلى" عندما يكون فونيم نغمه يسميه جماعة لا سيما في أمريكا "تونيم" toneme, وعندما يكون "فونيم طويل" يسمى، لا سيما في أمريكا، "كرونيم" Chroneme.

2 انظر في هذا

John B Carrol The Stuy of Language p. 52.

3 Etat de Langue.

4 Antoine Meillet La Methode Comparative En Linguistique Historique pp 10-11.

**جـ- الدراسة اللغوية المقارنة:**

**1- رأينا أن الدراسة الوصفية للغة محدودة بفترة معينة من تاريخ لغة معينة مستعملة في بيئة معينة، وأن الدراسة التاريخية حركية تطورية تظهرنا على ما يمر به تاريخ لغة ما من تغير. ولكن هذين النوعين من الدراسة لا يفسران الظواهر اللغوية جميعا، فثمة ظواهر لغوية تحتاج إلى منهج خاص، فالتطور اللغوي يظهرنا على أن هذه اللغة أو تلك تنشعب إلى لهجات متعددة، ثم ترتقي إحدى هذه اللهجات أو بعضها إلى مستوى اللغة الأدبية الفصحى، وقد تلحق هذه اللهجات واللغات تطورات وتغيرات كثيرة تبعدها عن أصولها. لا الدارسة الوصفية وحدها تصلح لتفسير هذه الظواهر، ولا تصلح لتفسيرها الدراسة التاريخية وحدها، إن الذي يستخدمه اللغوي في هذه الحال هو "المنهج المقارن"1. ولقد كانت "الدراسة اللغوية المقارنة" هي الشغل الشاغل في القرن التاسع عشر للغويين جميعا، وكانت تسمى "فقه اللغة المقارن"2 "انظر الكلام على هذا الموضوع في الباب الخامس: تاريخ الدراسات اللغوية".**

**2- إن المنهج المقارن يطبق على مجموعات معينة من اللغات، إنه يطبق على مجموعة اللغات المنتسبة إلى أصل واحد بعيد ثم خضعت في تاريخها الطويل لتطورات طويلة منفصلة.**

**وعندما يوفق اللغوي إلى أن يجمع السمات "= الخصائص" المشتركة بين أمثال هذه المجموعة من اللغات يتمكن من أن ينشئ "النحو المقارن"3 لهذه المجموعة. إن النحو المقارن يهيئ السبيل لتصنيف اللغات حسب خصائصها، ولتجميعها في "عائلات". فبمقارنة "الأصوات" و"الأشكال" المستعملة في مجموعة من اللغات تظهر الأصوات والأشكال التي استحدثتها هذه اللغة أو تلك، كما تتحدد الأصوات والأشكال القديمة التي احتفظت بها هذه أو تلك.**

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1 Comparative Method.

2 Comparative Philogy.

3 Comparative Grammar.

**3- ونتحدث الآن عن طريقة "المقارنة اللغوية".**

**1- قد ينظر المقارن في لغتين أو أكثر من اللغات المتقاربة، ويقارنهما من حيث ما يتشابهان فيه أو يتطابقان من النواحي الفونولجية، والنحوية والدلالية1.**

**ولكن التشابه من الناحية الفونولجية قد يوجد بين لغتين، أو بين أكثر من لغتين، ولكن لا تقارب بينهما أو بينها. إن هذه المقارنة في هذه الحال لا تؤدي باللغوي إلى أكثر من أن يقرر أن بين هاتين اللغتين، أو أن بين هذه اللغات، هذه التشابهات التي لاحظها2.**

**إن نظم اللغة الإنجليزية الحديثة -وهي كاللاتينية الكلاسيكية من عائلة اللغات "الهندو - أوروبية"- ليظهر مشابه من نظم اللغة الصينية -وهي غير شريكة الإنجليزية في الأصل القريب أو البعيد- أكثر من المشابه القائمة بين الإنجليزية واللاتينية.**

**2- إن الدراسات اللغوية المقارنة تقوم على دراسة "التقابلات المطردة"3 أو "المنتظمة من حيث "البنية الصوتية"4 بوجه خاص بيان الكلمات المتطابقة أو المتقاربة معنى، هذه الكلمات المأخوذة من لغتين متقاربتين أو من لغات متقاربة. وهذه التشابهات لا تفسر إلا على أن هاتين اللغتين -أو هذه اللغات- تنتميان أو تنتمي، إلى مرحلة أسبق كانا، أو كانت، فيها أشد تقاربًا. نعم إن اللغوي المقارن قد يجد كلمات متقاربة لم يحدث تقابلها إلا عن طريق الصدفة ليس غير. ولكن عندما تكثر المتقابلات وتكثر يكون من غير المقبول أن ندعو هذا محض صدفة.**

**إن بنية الكلمات ذوات المعاني المتطابقة أو المتشابهة في اللغات الرومانية تدل على وجود علاقة بين هذه اللغات، ونحن نعرف تاريخيا أنها متطورة عن اللغة اللاتينية العامية أو "المبتذلة".**

**إن أساس المقارنة يعتمد إلى حد كبير على النظر في الكلمات ذوات المعاني المتطابقة المتقاربة.**

**والمقارن يستبعد الكلمات المستعارة من لغة أخرى.**

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1 انظر بحث رومان جاكوبسون عن التشابهات الفونولوجية بين اللغات. "وهو ملحق بكتاب تروبتسكوي "principes De Phonologie

Jakobson Roman Theori Des Affinites Phonolgiques Entre Les Langues PP 351-365

2 Regular Correspondences.

3 Sound Structure.

4 انظر Meillet Linguistique Historique Et Linguistique Generales pp. 76-77.

**ومن بين هذه المفردات التي تظهر "القرابة" أقوى إظهار: الأعداد من 1 إلى 10.**

**أسماء أعضاء الجسم الإنساني:**

**الفعل "يكون" في حالة اللغات الهندو - أوروبية بصفة خاصة.**

**4- إن المقارن يصل إلى "عائلات لغوية"1" و"عائلات لغوية فرعية"2 حيث تظهر الكلمات المتطابقة أو المتقاربة معنى تقابلات صوتية منتظمة3.**

**يقول مييه: "إن المقارنة تهيئ نظاما من المتقابلات يبني اللغوي على أساسه تاريخ عائلة من اللغات".**

**ومن أسهل الميادين للبدء في الدراسة المقارنة اللغات الرومانية لأننا نعرف أنها مشتقة من "اللاتينية العامية" التي نعرف عنها شيئا كثيرا.**

**5- وإن الدراسة اللغوية المقارنة تقوم على افتراض أن "التغيرات الصوتية"4 التي تلاحظ بين مجموعة اللغات المقارنة، والتي تلخص آخر الأمر فيما يسمى "القوانين الصوتية" كـ"قانون جزيم"5، تغيرات مطردة، وأنها تعمل في مساحات محددة، وأزمنة محددة.**

**ومن التغيرات الصوتية المطردة في مجموعة اللغات الهند - أوروبية:**

**إن أصوات الكاف "K" قبل الصوائت الأمامية تميل إلى أن تتحول إلى أصوات السين "S" أو أصوات الشين ولكن العكس غير متحقق.**

**وأن صوت الفاء "F" تميل إلى أن تتحول إلى أصوات الهاء "H" ولكن العكس غير متحقق.**

**وأن أصوات التاء "t" تميل إلى أن تتحول إلى الانفجاري الاحتكاكي "ts"6.**

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1 Language Familis.

2 Sub - Families.

3 Rigular Sound - Correspondences.

4 Phonetic Changes.

5 Grimm,s Law.

انظر الباب الخامس من هذا الكتاب وهو بعنوان: تاريخ الدراسات اللغوية.

6 Meillet Lingusitique Hestorique p 15 16 46 47.

**6- وتنتهي الدراسة المقارنة بين الكلمات ذوات المعنى المتطابق أو المتقارب بأن يصل المقارن، على أسس معينة. إلى شكل يعده الشكل الأصلي لهذه المجموعة من الكلمات التي قامت المقارنة بينها.**

**وجرت عادة المقارنين على أن يرقموا هذه الكلمة في الكتابة بنجم صغير دلالة على أنها هي الصورة الأصلية، وهم يسمعون هذه الصورة "الشكل المنجوم"1 "أي "الشكل ذو النجمة" أو "المرقوم بنجمة" أو "الكلمة المنجومة"1.**

**وينبغي أن نلاحظ أن هذه الأشكال المنجومة تلخص نظرات المقارن في مجموعة معينة من الكلمات، إن اللغوي المقارن بهذا لا "ينشئ لغة، ولا تعني هذه الأشكال أن الجماعة الأصلية -التي يفترض أنها صاحبت أصل مجموعة اللغات التي تدور بينها المقارنة- كانت تنطقها حقا.**

**7- ولقد قام اللغويون المقارنون بجهود مشكورة تيسر البحث في تاريخ العائلات اللغوية، وتلخص ما وصلوا إليه من نتائج، فوضعوا مجموعة من "القواميس الاشتقاقية" للمجموعات اللغوية الكبيرة2.**

**4- ولقد استخدم "المنهج المقارن" للوصول إلى "الصور الأصلية" أو "الصور الوالدة" لمجموعات كثير من اللغات.**

**1- وكان أكبر جهد بذله اللغويون المقارنون هو ما بذلوه في "إعادة إنشاء" "= إعادة بناء"3 "الصورة الأصلية" للغة "الهندو - أوروبية"4 أو "الهندو - أوروبية الأم"4، وقد نجحوا في ذلك نجاحا فائقا، كما نجحوا في إعادة بناء: الرومانية**

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1 Srarred form.

2 من ذلك قاموس فالد - بوكورني Walde - Pokorny بالألمانية لعائلة اللغات الهندو - أوروبية وهو في ثلاثة مجلدات وفهرسة في المجلد الثالث. ومن القواميس الإنجليزية المشهورة في هذا المجال القاموس الاشتقاقي الذي وضعه "سكيت" Skeet.

أما قاموس "بك" فهو يرتب مادة المترادفات الهندو - أوروبية حسب تصنيفات معينة للمعاني.

Carl Darling Buck A Dictionary of Selected Synonyms ln The Principal lndo European Languages A Contriburion To The Histoiry of ldeas Chicago University of Chicago Press XlX 1949.

ومن القواميس الاشتقاقية للغات الرومانية قاموس "ديز" وقاموس "ماير - لوبكة" Meyer - Lubke.

3 Reconstruction.

4 Proto - lndo -European Language.

قال الأستاذ جون. ب. كارول "The Study p. 50" ومع أن اللغات الهندو - أوروبية قد درست من وجهة النظر المقارنة دراسة لم تحظ بها أي مجموعة أخرى من اللغات فثمة علاقات جديدة كشف عنها=

**الأصلية1، أو الأم2، والجرمانية الأصلية، والكليتية الأصلية3، والسلافية الأصلية4.**

**أما تطبيقهم لهذا المنهج في حالة مجموعات أخرى من اللغات فلا يزال في حاجة إلى استكمال ومتابعة.**

**فالجهود التي بذلت لإعادة بناء "اللغة السامية الأصلية"5 أو "الأم" و"الفنلندية - الأوجرية الأصلية"6 و"البانتو الإيطالية"7 أقل مما بذل في حالة إعادة بناء اللغات الأصلية التي أسلفنا الإشارة إليها في المجموعة السابقة.**

**وقد بدأ العلماء المقارنون في إعادة بناء لغات أصلية أخرى8.**

**2- إن مناهج الدارسة اللغوية المقارنة من الدقة والسلامة والقوة بحيث إنها مكنت "بلومفيلد" من إعادة بناء بعض أشكال ما يسمى "اللغة الألجونكية الأصلية"9 أو "الأم"9، ومكنت "هووف"10 من أن يحدد معالم "اللغة الأوتو - أزتكية"11 الأصلية، وهي لغة مفترضة لمجموعة من اللغات مستعملة في الجنوب الغربي من أمريكا الشمالية وفي بلاد المكسيك12.**

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

= البحث الحديث نتيجة لدراسة اللغة الحيثية Hittite وهي لغة كانت تستعمل قديما في آسيا الصغرى، ولدراسة اللغة التجارية Tocharian، وهي لغة كانت تستعمل في وسط آسيا وعرفها اللغويون من مخطوطات مفرقة ترجع إلى القرن السادس الميلادي.

وهكذا فخصائص اللغة الهندو - أوروبية الأصلية معروفة الآن على خير وجه.

1 Proto - Romance.

2 Proto - Germanic.

3 Proto - Celtic.

4 Proto - Slavic.

5 Proto - Semitic.

6 Proto - Finno - Ugrian.

7 Proto - Bantu.

8 للتعريف بشجرة اللغات "الهندو - أوروبية" انظر تعليق الأستاذ الدكتور مراد كامل على "الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية" لجرجي زيدان "هامش ص24" وانظر كذلك التعريف القيم باللغات السامية، ومنها العربية، الذي علق به الأستاذ الدكتور مراد كامل على كتاب جرجي زيدان السابق "هامش ص25-35".

9 Proto - Algonkian.

10 Benjamin Lee Whorf.

11 Uto - Aztecan.

12 انظر في هذه الفقرة Carroll The Study p. 49.

**5- ولكن ما "اللغة الأصلية"، أو "اللغة الوالدة"1 أو "الأم"1 كما تدعى أحيانا؟**

**إن الصورة "الأصلية" أو "النوع" الأصلي لأي مجموعة من اللغات ليس له وجود محسوس: فلا أحد يستطيع أن يتكلمها، ولا معرفة يقينية لنا -في أغلب الأحوال- بالشعب الذي كان يتكلمها، كما أن معرفتنا بالموطن الذي كان يقطنه ذلك الشعب معرفة تقريبية في معظم الأحوال.**

**والواقع أن هذا النوع من اللغة الذي ندعوه "الصورة الأصلية" أو "الأم" ذو أهمية لبناء اللغويين فـ"اللغة الأصلية" هي لغة ينشئها اللغوي من إعادة فرضية لبناء أصل لمجموعة مترابطة من اللغات، وهذا البناء يقوم على ربط "الأشكال" القديمة التي يتأكد منها مع أشكال أخرى فرضية.**

**وهكذا فالصور الأصلية "أو النوع الأصلي" لمجموعة من اللغات مجموعة "صناعية" وهي تخدم أغراض اللغوي.**

**6- والواقع أن أهم نتيجة وأبرزها وصل إليها "النحو المقارن" "= الدراسة النحوية المقارنة" لأية مجموعة من اللغات، هي تقرير "صلة القرابة"2 بينها.**

**1- ما طبيعة هذه "الصلة" وما مداها؟. إن أول ما نذكره في هذا الشأن هو أن "الصلة" "أو"القرابة" اللغوية لا تعني ولا تتضمن "توالدا" أو "أبوة" أو "أمومة" أو "خئولة أو عمومة" ... إلخ بالمعنى الفسيولوجي لهذه المصطلحات.**

**إن الذي يربط بين أمثال هذه اللغات التي تضمها "رابطة القربى" فيما يقال، هو استمرار تاريخي متميز، كهذا الاستمرار التاريخي الماثل بين اللاتينية والفرنسية، وهذه الصلة تختلف من حيث الدرجة بالنسبة لظروف كثيرة.**

**ويقال أحيانا إن هذه اللغة "مشتقة" من تلك؟ فما المقصود بهذا القول؟**

**إن الملاحظ في كل الجماعات الكلامية أنه لا يحدث في مرحلة من المراحل أن يتفق أو يصطلح جميع المتكلمين على "تغيير اللغة". معروف أن الفرنسية**

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1 Parent Language.

2 Relationship.

**"مشقة" من "اللاتينية العامية1" أو "المبتذلة"، وأن "اللاتينية العامية" مختلفة عن الفرنسية: لم يحدح ثأن اتفق المتكلمون باللاتينية العامية في وقت محدد على أن يكفوا عن الكلام بها وأن يتكملون الفرنسية مثلا2. ولكن تطور "اللاتينية العامية" أدى إلى ظهور صور جديدة لها أخذت تبعد منها شيئا فشيئا.**

**إن كل المصطلحات التي تستعملها الدراسة المقارنة والدائرة حول "الولادة" و"القرابة" و"النسب" مصطلحات مجازية.**

**2- ومن الملاحظ أن التغيرات الكثيرة التي تطرأ على المفردات قد تبعد لغة من لغة في الظاهروهما في الواقع شديدتا التقارب، أو إحداهما "مشتقة" من الأخرى اشتقاقا مباشرا، فاليونانية الحديثة توصفب أنها مشتقة من اليونانية القديمة على الرغم من أن النسبة المئوية من المفردات اليونانية القديمة المحفوظة في اليونانية الحديثة ضئيلة جدا، بل إن النسبة المئوية للكلمات التركية الأصل في اليونانية الحديثة نسبة جد كبيرة.**

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1 Valgar Latin.

2 Meillet: Linguistique Historique et Linguisitique generale; pp, 80-81.

3 Comparatisys.

4 Phonetic Laws

5 phonetic Equations

6 Gothic

**اضطرابه عوامل عدة منا القياس1 والخطأ أو المبالغة في التقرير، والأخذ في لهجات أخرى، والأخذ من اللهجات "اللغات" الأدبية، والأخذ في فترات مختلفة، و"بعث" كلمات قديمة، والتكوينات "= الصيغ" الشاذة الغريبة2، وعودة كلماتوطنية من لغات أخرى كانت قد استعارتها، والخطأ في تقسيم الكلمات المتصاحبة، ولا سيما الأداء والاسم إلخ.**

**إن "القوانين الصوتية" لا تصدق على تاريخ مجموعة معينة من اللغات، ومن هنا فلا يستطيع اللغوي المقارن أن يطبق "القوانين الصوتية" الصادقة على مجموعة معينة من اللغات، على مجموعة أخرى من اللغات.**

**8- ومن أعمال المنهج المقارن ومكاسبه: إقامة "العلاقات" أو "وصلات القرابة" اللغوية كما رأينا؛ وإعادة بناء "اللغة الأم"؛ وإقامة الأشكال المتوسطة من اللغات كإعادة بناء "اللاتينية العامية" من اللاتينية الكلاسيكية؛ ومن ذلك تقويم النصوص اللغوية المشكوك فيها.**

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1 Analogy.

2 Freak Formation.

قال الأستاذ: جون ب. كارول في كتابه

The Study of Language, p. 49.

إن اللغوي الذي يدرس اللغات الهندية الأمريكية من الناحية المقارنة لا يطبق عليها "قوانين صوتية" مأخوذة من القوانين الصوتية التي ثبت أنها "منطبقة" على اللغات الهندية أوربية؛ لأنها مستمدة من دراستها إن ما يستنبطه اللغوي من الدراسة المقارنة للغات الهندو -أوربية، بحيث يكون صالحا للاستخدام عند الدراسة المقارنة لمجموعة أخرى من اللغات، هو "منهج" method ولا شيء سوى المنهج.

3 Inscriptions.

4 Homer

**من بعض اللغات التي تربط بينها صلة القربى. وقياسا على هذا إذا زيد صوت W إلى صدر الكلمتين الثانية والثالثة من بيت هوميروس، فصارت الكلمتان wepos; we: pes حصلنا على النموذج الوزني المرتقب. وهكذا نقول إن صوت الـW في هاتين الكلمتين وأمثالهما كان ينطق ايام هوميروس، وعلينا لذلك أن أن ننطقه، ولا نسقطه، فالشاعر يريد ثبوته ونطقه1.**

**9- ولكن على الرغم مما يقدمه المنهج المقارن من فوائد جلى للدراسة اللغوية، إلى أنه يبدو قاصرا في حالات كثيرة. ومن ذلك مثلا أن "الشبهة" الذي يلاحظ المقارنون بين مجموعة اللغات المدروسة غالبا ما يكون خداعا ولا سيما في موضوع المفردات.**

**فكثيرا ما تعرض كلمات في بعض اللغات متطابقة من حيث الصورة، أو متشابهة لدرجة كبيرة، ولها نفس المعنى، ولكن لا علاقة بينها من الناحية التاريخية، وذلك مثل كلمة bad فمعناها في الإنجليزية هو معناها في الفارسية، ولكن ليس لهذه الكلمة في الأنجليزية علاقة اشتقاقية بنفس المعنى في الفارسية.**

**وهذا المثال خداع بصفة خاصة لأنه مثال فريد، ولا ينتسب إلى أي نوع من أنواع "التقابل" بين الإنجليزية والفارسية2.**

**\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_**

**1- ويتضح قصور المنهج المقارن كذلك عندما يدرس اللغوي مجموعة كبيرا جدا من اللغات المتقاربة ولكن ليس لهذه اللغات أشكال قديمة محفوظة1.**

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1 أورد الأستاذ كارول "The Stydy pp. 49-50"مثالا على هذا دراسة الأستاذ الأمريكي "إيزيدور داين" lsidore Dyen الأستاذ بجامعة ييل Yale مجموعة اللغات المعروفة باسم "الملايو - بولونزيا" layo - Polynesia Ma قال الأستاذ كارول: من اليسير التدليل على أن تلك اللغات واللهجات التي تفوق الخمسمائة عدا لغات مترابطة عن طريق المناهج المألوفة للدراسة اللغوية المقارنة. ولكن الأستاذ داين يرجو أن يبين عن طريق الدراسة المقارنة العلاقات التفصيلية بين هذه اللغات والأصول التاريخية لها وذلك ليستدل على طرق الهجرة التي سلكها سكان تلك الجزر في المحيط الهادي من داخل قارة آسيا.

وإن مناهج الدراسة اللغوية المعروفة حتى الآن لم تمكن من الوفاء بهذا الغرض. وإن ضخامة المعلومات والحقائق المجموعة في هذه الدراسة، وأكثرها لم يدرس من الناحية الوصفية الدراسة الواجبة، يحتاج إلى دراسة شبه إحصائية، وفضلا عن ذلك فإن نسبة كبيرة من التشابه في كلمات عدد من هذه اللغات واللهجات لم تجئ عن طريق "النسب"، إنما عن طريق الصدفة المحض أو عن طريق أخذ هذه اللغات عن أصل أجنبي واحد، وهذا كله ينبغي أن يقوم تقويمه الحق.

ومن الدراسات اللغوية المقارنة التي تجابه أمثال هذه الصعوبات محاولة دراسة اللغات الأصلية في كل من شمال الولايات المتحدة الأمريكية وفي جنوبها، وفي إفريقيا، وآسيا، وأستراليا دراسة مقارنة.

**1- قمة الدراسات اللغوية:**

**1- علم الدلالة، أو دراسة "المعنى" فرع من فروع علم اللغة، وهو غاية الدراسات الصوتية، والفونولوجية، والنحوية، والقاموسية، إنه قمة هذه الدراسات. وإذا كانت الدراسات الصوتية والفونولوجية والنحوية والقاموسية لم ينهض بها عادة إلا اللغويون، فإن النظر في "المعنى" موضوع شارك فيه علماء ومفكرون من ميادين مختلفة، شارك فيه من قديم: الفلاسفة، والمناطقة خاصة، وشارك فيه علماء النفس وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيا حديثا، وأسهم فيه علماء السياسة والاقتصاد، وجماعات من الفنانين والأدباء، والصحفيين وذلك لأن "المعنى" اللغوي من شأنه أن يشتغل المتكلمين جميعا على اختلاف طبقاتهم، ومستوياتهم الفكرية؛ لأن الحياة الاجتماعية تلجئ كل متكلم إلى النظر في معنى هذه الكلمة، أو تلك، أو هذا التركيب أو ذاك، هكذا أدلى كل متكلم تقريبا بدلوه في هذه المشكلة الخطيرة.**

**وقد نجم عن اشتراك اللغويين وغير اللغويين من أصحاب العلوم والأفكار المختلفة، أن ظهرت نظريات كثيرة. ومناهج عدة فيما يتعلق بالمعنى من حيث تحصيله وماهيته، ودراسته.**

**كما نجم عن ذلك خلط كثير، وإساءة فهم لمشكلة "المعنى" حتى لقد ضجر كثير من الغربيين من اللغويين المحدثين من الكلمة الدالة على "المعنى" ومن سوء استعمالها، ومما توقع فيه من مشكلات، ودعا إلى تجنب استعمالها1. ولكن ما من شك في أن تجنب استعمال هذه الكلمة شيء، وبقاء التصور الذي تدل عليه شيء آخر، فكل لغوي يستعمل هذ التصور، والثابت أن علم اللغة لا يتيسر له أن يقوم دون هذا التصور.**

\_\_\_\_\_\_\_\_\_\_

1 Allen W. S On The Linguistic Study of Language "An lngaural lnaugural deliv ered in The University of Cambridge on 8 March 1957" Compridge University Press 1957 p. 22.

**الكتاب: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**

**المؤلف: محمود السعران**

**الناشر: دار الفكر العربي**

**الطبعة: طبعة 2 - القاهرة 1997**

**197-213**